# الإمام علي (عليه السلام) والعدالة

**الدكتور محمد القيسي**

استاذ جامعي ـ المملكة الاردنية الهاشمية

## طائفة وقبسات من كلام الإمام علي (عليه السلام)

* اتبعوا الحق وأهله حيث كانوا
* من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما اثقل عليه.
* قل الحق ولو على نفسك.
* من ساء خلقه عذب نفسه.
* عليكم بكلمة الحق في الرضى والغضب وبالعدل على الصديق والعدو.
* أعينوا الضعيف وانصروا المظلوم وتعاونوا.

## أهداء

إلى من جعل للثورة عنوان

نور من نور ونور على نور

تقيم في النفس وفي النظام خير حارس

وهي بذلك... العدل

ومن مصادرها... العدل

وبتشريعها... العدل

وبتنفيذها.. العدل

تحرم الظلم وتحاربه...

ابتداء من العدوان على حدود الله

وانتهاء إلى العدوان على حقوق العباد

ومقاومة الظلم ليس مجرد حق بل هو واجب وفرض

أمر لم يبلغه بعد أي نظام على وجه الأرض وقد أشعل المنارات أبا الحسن (عليه السلام)

وقرر انه: ـ

لا شرعية بغير شريعة...

لا شرعية بغير رقابة...

ولا شرعية في غياب الحق...

ولا قيام للحق في غياب من يحمله

والجزاء بوجهيه لشريعة الحق ثوابا...

## الفصل الاول

### أوّلاً تمهيد:

عندما يبحث عن حياة العظماء ورؤيتهم لابد من معرفة الحياة السياسية والفكرية والثقافية التي كانوا يعيشونها إذ أن الإنسان له صلة في بيئته.

فخط مستقبل الإنسان بوجوده حينما يكون متصلا مع مجتمعه ويمرّ في أدوار من الصعود والهبوط حتى يكون ذات يوم صاحب شأن وصاحب رسالة. لأنه أصبح بين يديه سلاحاً اسمه الإسلام.

والعرب كانت قبل الإسلام في شبه جزيرة تسمى جزيرة العرب، لقد كان مناخها صحراوي يميل الى الجفاف، وتميل الحرارة فيه إلى الاشتداد، وقد كان سكانها من العرب الذين لم ينقرضوا، وقد جاء الإسلام وهم على حال من التنازع والتقاتل والعداوة والثأر ووأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر وأكل الربا الى غير ذلك من الأفعال المشينة. ولقد

كان يسود أرض الجزيرة اعتقاد بالأوثان، واعتقاد بآلهة النور واعتقاد في شيوع المال والنساء.

ولقد كانت مكة أقدم تلك المدن يسكنها خزاعة وقريش التي يرد نسبهم الى النضر بن كنانة، وقصة عام الفيل وأبرهة الحبشي معروفة الى أن كان مولد النور والهدى بمولد محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هيأه الله جلّ وعلا سنة ستمائة وعشر ميلادي بالرسالة في شهر رمضان المبارك وعمره أربعون سنة.

جاء الإسلام بالتوحيد ـ بالمساواة والعدالة بين الناس إلّا أن حزب الكفر رفض ما يطرح من قضايا التوحيد والرفعة والسمو فكانت الحرب والتميز بين معسكرين أحدهما معسكر حزب الله والآخر حزب الشيطان حزب الكفر.

وقد تزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بخديجة التي أنجبت له أبناءه منهما رضوان الله عليهما، وقد كان في المدينة المنورة اليهود والمشركون من العرب وقد كانت سمة المشاكل العامة الاجتماعية والسياسية ينتابها الفوضى والمشاكل فالإدارة والقضاء والتعليم والجباية والدفاع والحرب والتنظيم الاجتماعي (الزواج ـ الطلاق ـ كفالة الأيتام ـ الارض ـ الوقف ـ الوصية ـ الخ ـ إضافة الى السكر ـ القمار ـ الفسق ـ الخرافات) كان موجوداً وسائداً في تلك الحقبة.

في ظل هذا المناخ جاهلية وانهيار على كافة الصُعد في مكة. ويهود المدينة أهل خيبر والمنافقون الذين كانوا خطراً جاثماً في المدينة قد شكلن وشكّلن نمطاً اجتماعياً لا يختلف كثيراً عن واقع مكة إن لم يكن أخطر إلّا أن الإسلام دين الله الخالد الذي كان مفتاح إصلاح البشرية قرآناً يُتلى وأحاديث شريفة حملها رجال اطهار أولهم رجال آل بيت (عليهم السلام).

وقد عاصر الإمام علي (عليه السلام) كافة هذه المظاهر جاهلية كانت أو ما عاصره من أزمات حقيقية قد واجهت الدولة الإسلامية حتى استشهاده إذ أن الأزمة السياسية قد بدأت في الجاهلية، وهو معروف بالعداء الداخلي الاقتصادي بين عشائر قريش حول مسألة السقاية والرفادة الى غير ذلك.

وقد ازدادت الشقة ألماً حينما توفي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكن خليفته هاشمياً وتوفي أبابكر ولم يكن خليفته هاشمياً ـ وتوفي عُمر ولم يكن خليفته هاشمياً. والذي يظهر لي كباحث أن الحياة التي عاشها الامام قد شكلت له رؤية خاصة حينما رأى الظلم المتوالي النازل عليه وعلى آل البيت الكرام، وإذ به يرى ضعف عثمان وسوء تصرفه بمعنى عدم وجود عدالة ومساواة في تعيين الولاة وفي أنفاق الأموال وكل ذلك قد شكل عند الامام بأن الحياة الإدارية والسياسية والثقافية والاجتماعية بحاجة الى إعادة صياغة كما كانت في عهد أخيه وحبيبه وصديقه جد أبنائه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي ظل هذه الأوضاع يمكن أن نستخلص بأن الامام علي (عليه السلام) رجل مخضرم ـ فذ ـ شجاع وقد عاصر الجاهلية بمكّة، وشرور وجاهلية اليهود ومكر المنافقين وعرف أبواب الخير أنهاراً من الثقافة والعلم والنور فكان من أفضل الأصحاب وأعظمهم محبة للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

فأخذ ينهل العلم من حبيبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى أنه ازداد الخير لديه إذ أن زوجته الربانية سيدة نساء العالمين فاطمة ابنة محمد وخديجة (عليهما السلام) حتى وصلت منزلته العظيمة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قد آخى بينه وبين علي (عليه السلام) بقوله أنت أخي في الدنيا والآخرة[1] ولو أردنا أن نتحدث عن فضائل الامام لاحتاج الباحث الى عدة أسفار وما انتهى من ذكر المناقب.

وكانت من أبرز معالم الفضل للإمام (عليه السلام)، تزويجه بفاطمة، حيث قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن الله تبارك وتعالى زوجه من فوق عرشه وقد رضي الله لرضى فاطمة وقد كان صداقها أربع مائة وثمانين درهماً. وكانت سيدة نساء العالمين، فهي الزهراء المحصنة العظيمة زوجة المجاهد حبيب الله ورسوله الهاشمي السيد صاحب المناقب العظيمة أبا الحسن وأبا الحسين.

فكانت فاطمة بضع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحب ولده اليه وكانت زوجة الشهيد وأم الشهيد. وقد تم تأليف الكثير من المصنفات في الامام (عليه السلام)[2] رحم الله الامام(عليه السلام) فهو في منزل صدق عند مليك مقتدر ألحقنا الله بهم وجعلنا من شيعتهم يوم القيامة.

## ثانياً نسبة الامام (عليه السلام):

هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وان اسم والده عبد مناف واسم والدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي أول هاشمية قد أسلمت وهاجرت الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣].

ولد الامام(عليه السلام) بمكة، وحمله النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، حين ولادته وكان أشد الناس فرحاً به، وقدكانت له كنيتان (أبو الحسن ـ وأبو تراب) وقد سماه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بابي تراب وقد توفي (عليه السلام) شهيداً في شهر رمضان يوم الجمعة ١٧ ليلة من سنة ٤ للهجرة.

وقد اختلف العلماء على عمره يوم شهادته فمنهم من قال توفي وهو ابن ٥٨ وقيل ابن ٦٠ وقيل ابن ٦٤. وقد قام الحسن(عليه السلام) خطيباً يوم مقتل والده فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما والله لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى ابن مريم وفيها قُتِلَ يوشع بن نون[٤].

كما أن الامام كان أول من صلى مع النبي ـ(صلى الله عليه وآله وسلم) ـكان مولى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير من كنت مولاه فعلي مولاه ـ اللهم والِ من والاه، والاحاديث في الباب كثيرة على نص الولاية[٥].

## ثالثاً: منزلة علي (عليه السلام) عند أخيه وحبيبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد كان للامام (عليه السلام) منزلة ومرتبة خاصة عند حبيبه (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو ابن عمة وزوج ابنته الغالية سيدة نساء العالمين فاطمة بل وصل الأمر يوم الهجرة بان يكون عليٌ (عليه السلام) الفداء أمام ركب الكفار عوضاً عن الحبيب (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أنزل عليٌ (عليه السلام) المنزلة وهو أهل لها ويستحقها ونال الأوسمة التالية من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:

١ ـ من كنت مولاه فعلي مولاه.

٢ ـ أنت بمنزلة هارون من موسى.

٣ ـ أنا وهذا حجة على أمتي يوم القيامة يعني علياً.

٤ ـ من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر.

٥ ـ أن الله عهد الي في علي عهداً أنه راية الهدى.

٦ ـ أنت سيد المسلمين وإمام المتقين.

٧ ـ أنا مدينة العلم وعلي بابها.

٨ ـ أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة.

٩ ـ لكل نبي وصي ووارث ووصي ووارثي علي.

١٠ ـ أشتد غضب الله على من آذاني في عترتي.

١١ ـ من صلى على محمد وآله مائة مرة قضى الله له مائة حاجة.

وقد ورد في فضائل الامام الكثير لا مجال لذكرها في هذه المقالة[٦].

أما ما ورد في حق الامام (عليه السلام) من أسباب النزول بالآيات المباركة نحو إحدى عشرة آية مباركة.

أذكر منها قول الله تعالى:

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إل المودة في القربى﴾ ﴿والنجم اذا هوى﴾

﴿أنما وليكم الله ورسوله﴾

وغيرها من الآيات

## الفصل الثاني

### أوّلاً: مفهوم العدالة

مصدرها عدل وتأتي على عدة معاني في أوجه اللغة.

منها: (عَدل) الشيء: أقامه وسواه يقال عَدل المكيال والميزان.

واعْتَدل: توسط بين حالين.

(عَدُلَ) ـ عدالةً وعُدولة: كان عدلاً وعَدَل فلاناً بفلانٍ سوى بينهما.

١ ـ اصطلاحاً: العدالة: في الفلسفة: إحدى الفضائل الأربع التي سلم بها الفلاسفة في

القدم. وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة.

والعُدل: الأنصاف وهو إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه[٧].

## ثانياً: العدالة

أن البحث في المفهوم الأدبي أو الفلسفي العرفاني عن مفهوم العدالة هل هي مكتسبة أم فطرية، لدى البشر، لتعددت الإجابات والاجتهادات إلّا أنني أرى أن العدالة لدى الإمام علي (عليه السلام) كانت فطرة جبلية ربانية قد خلق الإمام (عليه السلام) ومعه متلازمة مناراً في الذات البشرية والا لما استحق تلك المناقب العظيمة أما بتزكية آيات النزول وإما بوصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والشواهد لدي كثيرة من ذلك اختصر.

قول الامام (عليه السلام) (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته).

فدلالة تربية النفس واضحة بينة بذلك حتى يقبل العدالة على نفسه رقابة يقول (عليه السلام) فاعينوني بمناصحة خالية من الغش سليمة من الريب فوالله أني لأولى الناس بالناس[٨].

وقوله العظيم (أمره أن يكسر من الشهوات ويزعها عن الجمحات فأن النفس أمارة بالسوء إلّا ما رحم الله)[٩].

فهذا الامام (عليه السلام) يرسم عدالة النفس البشرية واعتبر النفس ضعيفة أمام العدو الصائل المسمى بالشهوات لان الاستبداد وقهر العباد نوع من أنواع شهوات النوع كما قال فرعون / **أنا ربكم الأعلى**[١٠] / **بل يعمي الإنسان عن الحق ـ أفرايت من اتخذ الهه هواه**)[١١].

ألا أن الحق المصاحب للعدل لابد له من الكفاءة والقدرة الشخصية بمفهوم الايمان وتقوى الله سبحانه واكتساب مفهوم الكفاءة ﴿**والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم**﴾[١٢].

أي أن الهدى والايمان مكتسب بمفهوم الزيادة والنقصان وهما السلاح نحو الثبات على الحق المصاحب للعدل **وقد أكد الامام (عليه السلام) كثيراً على هذا المبدأ بقوله أيها الناس**

ان أحق الناس بهذا الامر أقواهم عليه أعلمهم بأمر الله فيه[١٣] رحمك الله أيها الامام فقد حققت رؤية صادقة لعنصر الشعور بالمسؤولية. فقد كان الامام يراقب الله سبحانه بأعماله ولم يكن متهاوناً أبداً أبداً مع نفسه.

## ثالثاً: العدالة ورؤية الامام (عليه السلام)

أدرك ابن أبي طالب (عليه السلام) في أعماقه أن المقايسة تصح أصلاً وفرعاً بين السماء والارض اللتين قامتا بالحق واستوتا بوجوهه المتلازمة الثلاثة الصدق والثبوت والعدل وبين الدولة التي لابد لها ان تكون صورة مصغرة عن هذا الكون القائم على أركان سليمة ثابتة فاذا به يحيا في عقله وضميره بهذه المقايسة على صورة عفوية لا مجال لواغلٍ من الشعور او لغريب من التفكير وها هو يقول (واعظم ما افترض من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله لكل على كل).

واذا بالروابط العامة الكبرى بين عناصر الدولة على لسان الامام (عليه السلام) ثم الاعمال الخيرية وبين ثبوت هذه العناصر على أساس من الحق الذي هو لديه الصدق والثبوت والعدل وهذا بنظري الحق التي تقوم به السماوات والارض.

لان الامام قد نظر وفكر واعتمد (ألا وانه بالحق قامت السماوات والارض).

ولو حاولنا أن نجمع كلمة الصدق والثبات في كلمة واحدة لما وجدنا لفظة تحويها الا لفظة (الحق).

وعند هذ الاحساس قد وجد الامام (عليه السلام) أن من وراء ذلك جميعاً ان لهذا الكون القائم بالحق ترابط بين عناصره بعضها مع بعض وهذا ارتباط تعاون وتساند كما أن لقوته حقوقاً افترضت لبعضها على بعض وأنها متكافئة في وجوهها متلازمة بحكم وجودها واستمرارها.

حتى أن الاستمرار في العطاء لابد له من دوام النعم ودوام النعم مرهون بما فرض على صاحبها من واجب طبيعي نحو البشرية وان عدم القيام بهذا الواجب كاف وحده لان

يزيلها ويفنيها بذلك يقوم الامام من كثرت النعم عليه وكثرة الحوائج اليه فمن قام فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء)

ففي هذين القولين من التعبير عن عدالة الكون الناس من موجوداته ما لا يحتاج الى كثير من الايضاح فحقوق العباد ـ على لسان علي ـ يكافئ بعضها بعضاً فهي أشبه ما تكون بحق الماء على الريح والنبتة على الماء والماء على الشمس والشمس على القانون الرباني وهذه السنة التي تفرض على الانسان ألا يستحق شيء من الحقوق الا بأدائه حقوقاً عليه ليست الا سنة الكون العادلة القائمة بهذا العدل وعن هذا التوازن الحكيم في قانون الكون برحابته وأفلكه وارضه وسمائه وجماداته واحيائه يعبر الامام (عليه السلام) بهذه الكلمة التي تجمع سداد الفكر الى عنف الملاحظة الى عبقرية البساطة «ولا تنال نعمة إلّا بفراق أخرى».

أما الاعتداء على موازين العدالة وثوابتها فان العقاب قائم بطبيعة هذه العدالة العامة التي تقاضي الفاعل مقاضاة لا لين فيها ولا قسوة وانما عدل ومجازات.

وها هو الامام (عليه السلام) يسحق نظريات التجار بقوله «فوالله لو لم يصيبوا من الناس الا رجلاً واحداً متعمدين لقتله بلا جرم جره لحل لي قتل ذلك الجيش كله».

ونرى ان الامام قد عطل نظرية استباحة القوي للضعيف وللكثير ان تتسع أماله بهذه الكثرة وحدها وفي كل ذلك اعتداء على قانون الحياة (العادل) وعلى ارادة وكرامة الانسان ونحو ذلك يقول ببساطة / ورب يسير أغنى من كثير.

ويقول (وليس امرؤ وان عظمت من الحق منزلته بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه).

ثم يسقط الامام من التاريخ والحاضر الاضطراب الواقع من المقاييس لدى الافراد والجماعات. لانه رأى ان الاضطراب مستلزم لانحراف موازين العدالة لذا قرر أن المظاهر البراقة الفضفاضة ليست في حكم الواقع الوجودي وهذا ما ازاله وجدده في حرية ضد

المظهرية / النفاق بالمصطلح الشرعي.

لذا أن العدالة (الحق) تزن كل حي بميزانها العظيم وتضعه في موضعه لا غش في ذلك ولا خداع ولا مجاملة فالعدالة لا تهون لديها قيمة ولا تعلو عندها ولديها تفاهة.

كما انك واجد لدى الامام (عليه السلام) نظرة علوية واثقة من تطبيق الحق (العدالة).

لانه مؤمن بامكانات الانسان حيث خاطبه بقوله (ان الله لم يخلقكم عبثاً) لان الامام مؤمن بالطبيعة البشرية والفطرية موجهاً الخير اليها لان البشرية لديه خيرون ونافعون أصلاً وفرعاً ما لم يميلوا عن الحق عامدين.

وفي لحظات فذة من تألق العقل المكتشف والفكر النافذ تبدو لحياة الامام (عليه السلام) الوان ساطعة لمفهوم العدالة وما يسعك الا أن تعجب بهذا العقل وهذا الفكر وهذه الرؤية اذ ان الامام لم ينطق بلسان علماء العصر لديه بل نطق بالعدالة نفسها (الحق المطلق) ويقرر هذه الحقيقة بقوله (من ساء خلقه، عذب نفسه).

ويقول / يكاد المريب يقول (خذوني) ويقول (فاكرم نفسك عن كل دنية وان ساقك رغب فانك تعتاض بما ابتذلت من نفسك). ويقول (موت الانسان بالذنوب اكثر من موته بالاجل).

ويقول (لا مروءة لكذوب ولا راحة مع حسد ولا سؤدد مع انتقام ولا صواب مع ترك المشورة).

ويقول اذا كانت في رجل خلة لائقة فانتظروا اخواتها).

هكذا الابداع العرفاني لدى الامام عندما ادرك أن الرب واحد عادل والعدالة والحق في وحدانيته سبحانه وعدله في كل الكائنات قائم منه الى يوم القيامة وما بعدها لذا من عبد رباً واتبع رضاه بما امره فهذا المنهج القويم والمسمى الحق قد طبقه الامام على نفسه وعلى مجتمعه وعلى البشرية بكل صورها السياسية والاجتماعية والفكرية.

حتى بات للعدالة عدة وجوه زاهية يجب أن تطبق وفق أمر الله سبحانه ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

## الفصل الثالث

### أوّلاً: العدالة والمسؤولية

تربط المسؤولية بالعدالة دوماً عند الاستشعار بالسمو عند الحديث عن العظماء وعندما نريد أن نتحدث عن رؤية الامام (عليه السلام) عن العدالة لابد أن يقرن معها المسؤولية لان شخصية الامام المسؤولة القيادية لابد أن يكون عندها مسؤولية وحس بالمسؤولية وأي حس مرهف يكون لمن تربى على مائدة القرآن وعلى حسن الصحبة للمصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

لذا أن الامام قد أحس بالمسؤولية الملقاة على كاهله كانسان في البعد النفسي ومسؤولية حقيقية عمن ولاه الله أمر من أمور المسلمين فعندما تولي (عليه السلام) أمر المسلمين، قد أسس مبدأ المراقبة الحساسة الدقيقة فقد حقق مبدأ الرقابة الادارية الثاقبة الدائمة كما فعل بالقاضي حتى بعد ما استرعي / شريحاً وقال له:

بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت بها كتاباً أشهدت فيها شهوداً.

فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين

قال فنظر اليه نظر المغضب ثم قال له: ـ

يا شريح أما أنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك الى قبرك خالصاً فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك!

فاذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة[١٤]

ويقول في موطن أخر برسالة الى زياد بن ابيه وهو على البصرة.

واني اقسم بالله قسماً صادقاً لئن خنت من فيء المسلمين صغيراً أو كبيراً لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر. وهنالك مواقف ونماذج كثيرة تبني أحد اركان العدالة وهو المراقبة بمراقبة الذات ومراقبة الراع لرعيته ومراقبة الراع لمن أوكل اليهم المسؤولية وهذه القاعدة قد ولدت الدقة في اختيار أهل الكفاءة وعزل الكثير من الولاة السابقين وهذا ما قام به حقيقة الامام بالقضاء على النظام المنحرف وكان هذا

القرار بحاجة الى جرأة في الاصلاحات على مستوى الادارة ومتابعة الادارة. والرقابة قد جعلت لدى الامام هذه العدالة المطلقة في حديثه مع القاضي شريح وقد همز اليه بالخوف من الله سبحانه وأن هنالك دار الدنيا ودار الآخرة فمن استطاع ان تكون الآخرة فهي خير دار وفي ذلك تصحيح مسلك ومسار القاضي بالكلمة التي بها يسترجع الخوف من الجليل قبل أن يقيم عليه حدود الدنيا.

وقد ارسل الى الاشعث بن قيس عامل أذربيجان قائلاً: ـ أن عملك ليس بطعمة ولكنه في عنقك امانة، وانت مسترعى لمن فوقك ليس لك ان تفتات في رعية ولا تخاطر إلّا بوثيقة. وفي يديك مال من مال الله عزوجل وانت من خُزانه حتى تسلمه اليَّ ولعليّ الّا اكون شر ولاتك لك،،[١٥]

وبالاستقراء لشروط تولي المسؤولية قد حررت الشروط التي يجب أن تتوفر في الراعي من خلال رؤية الامام.

## ثانياً «شروط الامام العادل» «عند الامام (عليه السلام)»

اشترط الامام شروطاً اساسية يجب ان تكون في الامام وسلبيات وعيوب يجبان يبتعد عنها من ابرزها:

١ـ يجب أن لا يكون بخيلاً.

قال الامام: ـ انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم تهمة[١٦].

٢. أن يكون عالماً وليس بجاهل.

قال الامام: ـ ولا الجاهل فيظلمهم بجهلة[١٧].

٣ـ يجب أن لا يكون جافياً

قال الامام: ـ ولا اجافي فيعطيهم بجفائه[١٨].

٤. يجب أن لا يكون حائفاً للدول.

قال الامام: ـ ولا الحائف للدولة فيتخذ قوماً دون قوم[١٩]

٥ـ أن لا يكون مرتشياً

قال الامام ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع [٢٠].

٦. ولا يكون معطل للسنة.

قال الامام ولا المعطل للسنة فيهلك الامة [٢١].

٧. أن يؤمن التعليم والطعام.

قال الامام: وتوفير فيئكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا [٢٢].

٨ـ الاجتهاد والنصيحة للأمة.

قال الامام: ـ فاما حقكم علي النصيحة لكم [٢٣].

٩ـ اقامة الحدود والتأديب

قال الامام: ـ وتأديبكم كيما تعلموا [٢٤].

١٠ـ الرحمة والمحبة واللطف بالرعية.

قال الامام: ـ واشعر قلبك بالرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم [٢٥].

١١. البعد عن الفضاضة والشدة في غير مكانها.

قال الامام: ـ ولا تكون عليهم سبعاً ضارياً.

١٢. عدم الاحتجاب عن الرعية والبعد عنهم.

قال الامام: ـ فلا تطولن احتجابك عن رعيتك [٢٦].

١٣. اختيار الأعوان والمساعدين الأكفاء.

قال الامام: ـ انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين والجبن يوم البأس والبطانة دون الناس. لكم اضرب المدبر وأرجو طاعة المقبل فأعينوني بمناصحة خالية من الغش سليمة من الريب فوالله اني لاولى الناس بالناس [٢٧].

١٤. الحزم في امر جمع الشمل والبيعة.

قال الامام من له كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان والامام الاهدى [٢٨].

١٥. الولاية تكليف وليست تشريف.

قال الأمام: ـ والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية أربة ولكنكم دعوتموني

اليها وحملتموني عليها[٢٩].

١٦. اداء الامانة الى اصحابها.

قال الامام ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها[٣٠].

١٧. في تعظيم حرمات الله سبحانه

قال الامام: ـ سلطان الله لامركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها[٣١].

١٨. ن يبقى بابه مفتوحاً للمظالم وينتصر للمظلوم.

قال الامام الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه[٣٢].

١٩. ترك العصبية بكل صورها.

قال الامام: ـ فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال وفي ومحاسن الامور.

٢٠. صاحب قوة في الدين وحزم في لين.

قال الامام فمن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين وحزماً في لين.

٢١. أن يكون حكيماً

قال الامام: ـ لتلك المرأة التي جاءته تطلبه اني والله لا اجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني اسحق[٣٣].

٢٢. حسن السابقة والسمعة بين الناس.

قال الامام ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً[٣٤].

٢٣. الكفاءة والقدرة في الصفات الشخصية.

قال الامام: ـ ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه اعلمهم بامر الله فيه[٣٥].

٢٤. ن يكون صاحب تقوى وورع.

قال الامام انصف الله وانصف الناس من نفسك[٣٦].

٢٥ ـ عدم تخلق الحب بين الوالي والرعية.

قال الامام: ـ واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا

اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركوا اهل الدنيا في اخرتهم[٣٧].

٢٦. أن يكون قدوة بأفعاله واقواله وسائر شؤون حياته.

قال الامام: ـ إلّا وان لكل ماموم اماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه إلّا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمرية[٣٨].

٢٧. الرقابة الدائمة على الراعي والرعية.

قال الامام أما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكو منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة.

وهذا قبس يسير فقط من كلمات الامام (عليه السلام) للشروط الواجب توفرها بالامام أو من تولى شؤون المسلمين.

## «الفصل الرابع»

## أولاً: نظرية الامام لمشروع تطبيق العدالة:

ان المتأمل في الانظمة والتشريعات التي تعلن عن حقوق الانسان وتأمر برعايتها والمحافظة عليها لا يضبطها في النتيجة اي ضابط دقيق إلّا نظرية الامام الطلقة نحو مفهوم الحق المطلق التي اسست المعنى الصحيح للعقل السليم والنفس المهذبة والضمير الراقي لذا فان دين الناس مربوطة بأخلاق القيمين على دساتيرها وأنظمتها وبمدى الخير الذي يتسع في نفوسهم أو يضيق علماً انه لن يمكن ان تنجح الانظمة والتشريعات في اقامة العلاقات الانسانية بمقدار ما يمكنها ان تتوجه الى العقل والضمير فتقنعهما بالخير فتخلق الانسجام الرائع بين اتاحة الفرصة للعمل النافع. لهذا قد قمت باستقراء مفصل لكلام الامام(عليه السلام) وقد خرجت بالرؤية التالية نحو نظرية مباركة للامام: ـ

١. الحق بين الناس يكمن بالتعاون والمساندة وان لا يعمل واحدهم من اجل نفسه والآخرين سواء بسواء والا يكون هذا العمل رياء من جانب هذا (لكي يعمل في الرغبة لا في الرهبة) على حد ما يقول الامام ثم يضحي بالقليل والكثير توفيراً لراحة الآخرين واطمئنان الخلق بعضهم لبعض وان تأتي هذه التضحية مبادرة لا بعد سؤال ولا بعد قسر او اجبار وكل ما من ذلك على صعيد مادي أو روحي

٢. يرى الامام (عليه السلام) ان العدالة لا تأتي إلّا عملاً ثم قولاً لان الانسان يجب ان يكون واحداً كالحق الواحد وان يساند بعضه بعضاً ووفاء لهذه القاعدة فان قال فعل ومن تلك الراوائع قول الامام (يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاءه في عمله فكل من رجا عرف رجاءه في عمله) أما اذا عملت خيراً فمن حقك عند ذاك أن تقول «قل خيراً واعمل خيراً».

٣. قبول توبة البشر قاعدة عمل بها الامام في التوبة باباً يلجه من جديد الى عالم الخير اذا شاء وبذلك يقول الامام:

«اقبل عذر من اعتذر اليك واخر الشر ما استطعت»

ويعرف التاريخ كم لحق بالامام (عليه السلام) من اساءات فهذا الامام (عليه السلام) / يرسل الى ابي موسى الاشعري: قائلاً

«اما بعد فانك امرؤ خلك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فان من استقال الله اقاله».

٤. ايمان الامام (عليه السلام) المطلق بان فطرة الانسان خيرة وعظيمة وقوى الخير تتداعى ويشد بعضها بعضاً شداً مكيناً فإذا وجد انسان جانباً من الخير فلابد من ارتباط بجوانب أخرى منه ولابد من ظهور هذه الجوانب في عدة مناسبات حيث قال: ـ

«إذا كان في رجل خلة لائقة فانتظروا أخواتها».

٥. التحذير من مجالسة الخلّة السيئة «اطلب الخير عند أهله».

٦. المبادرة بالتعلق بمفهوم العدل والحقوق بأن لا يقول المرء أن أحداً أولى مني بهذا الخير والحق (لا يقولنّ أحدكم إن أحداً أولى بفعل الخير مني).

٧. عدم استكثار فعل الخير، كثيراً يقول الامام (عليه السلام) في اهل الحق (ولا يرتضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون).

٨. ان العدالة والانسان متلازمان فهذا الضمير الانساني ثقته بالعدل تجعله حكماً خيراً في كل ما يضر وما ينفع.

٩. الخطاب خطاباً نحو الضمير لان الضمائر تهذب الخلق خاصة في رعاية النظم

العادلة وفي بعث الحرارة في المعاملات بين الناس كما ان هذا التهذيب يطلب لذاته بما انه من القيم الانسانية كما هو الاساس والسياج لحماية العدالة الاجتماعية واسسها.

١٠. ايمان الامام بثورية الحياة وان الاحياء ممكن ان يصلحوا انفسهم ويمكن ان يكونوا اسياد مصائرهم وهذا يستلزم على المؤمنين العمل على اساس الحق والعدل المطلق ليتحقق زجر كل من تصرف تصرفاً غير مسؤول يتوهم اصحابه انهم يستطيعون الوقوف معه في وجه المؤمنين.

١١. ايمان الامام بالتعليم وبالتطور.

حيث يقول: فانك اول ما خلقت جاهلاً ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك.

وفي ذلك دلالة على ان الانسان يتعلم ويتطور للانتفاع.

١٢. الرعية مرآة للراعي.

ويقول الامام: «وقلوب الرعية خزائن راعيها فما أودعه فيها عدل أو جور وجده فيها».

١٣ ـ الحق أمانة والتفريط فيه خيانة.

ويقول الامام:

والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا تقرباً مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وأزيل الباطل عن مظلمتهما.

١٤ ـ وجوب اتباع الحق واهله

ويقول الامام ـ اتّبعوا الحقَ واهلهُ حيثُ كانوا.

## ثانياً: الامام والعدالة الادارية:

ان العدل يبلغ في ميزان الله ان يكون قرين الوحدانية وان الظلم في شريعة الله سبحانه يبلغ قرين الشرك ومن ثم كان الظلم في بعض حالاته مسقطاً لكل شرعية عن أي نظام.

ان الله سبحانه هو (العدل) وقد نزلت كلمات الله سبحانه تبين ذلك (وتمت كلمت ربك

صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته).

وكانت أوامره ان تقام شريعته بين الناس بالعدل (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) واساس عظمة شرع الله ان يقام بالعدل. ولتنفيذ الشريعة لابد ان يكون العدل لان العدل مصدر والعدل في مرحلة التشريع وفي مرحلة التنفيذ يجب ان يكونِ لله ومن الله الذي اتصف به وكان احد اسمائه الحسنى لهذا ايقن الامام (عليه السلام) ان العدل الذي يجب ان يكون في صورة الاسلام الخالد لا يميل مع الرابة ولا يحيف مع الشنئآن (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين).

وقوله سبحانه (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا إعدلوا هو اقرب للتقوى) إذ ان الشريعة جاءت لتحريم الظلم بكل صوره وقد جاء قوله صريحاً (اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) وعليه فان كان العدل واجباً والظلم محرماً فان مقاومة الظلم تكون واجبة اذ ان الظلم فتنة والسكوت عليه فتنة والواجب نصرة المظلوم لتحقيق الشريعة المتوازنة وتصان الاعراض وتنشر الطمأنينة والسكينة عندما يدخل العدل في المجال الاداري.

فبعد مقتل عثمان عام ٣٥ هـ اخذ المسلمون يلحون على الامام (عليه السلام) بالخلافة حتى وجد نفسه مجبراً عليها ووجد أمامه أكبر مشكلة تواجه الدولة الاسلامية ومسؤوليته كخليفة مشكلة الفساد الاداري والمالي الذي كان سبباً رئيسياً في مقتل عثمان بصفة مباشرة فضلاً عن استغلال بني امية وعلى راسهم معاوية الظروف العامة لاهداف سياسية وبعزم وحزم الرجال كانت اولى خطوات الامام بهذا الصدد حيث قام مُقرِّراً عزل جميع ولاة عثمان واستبدالهم بما يراه مناسباً.

فارسل عثمان بن حنيف الى البصرة

وارسل عمارة بن شهاب الى الكوفة

وارسل عبيد الله بن عباس الى اليمن

وارسل سهل بن حنيف الى الشام

وقد كانت المفاجئة للامام (عليه السلام) للنتائج التي كانت في الولايات الاسلامية ففي

ولاية البصرة كانوا منقصمين وفي ولاية الكوفة كانوا يفضلون عثمان فرجع عمار بن شهاب بعد تهديده بالقتل اما ولاية الشام فقد رجع سهل من تابوك مهدد بالقتل من معاوية وولاية مصر مضطربة والملاحظ ان التمرد الاداري الذي تزعمه المعارضين وعلى رأسهم معاوية كان وراء صعوبة تطبيق النظم والاصلاحات الادارية ومع هذا رفض الامام التراجع ورفض ان يبيع دينه بدنياه أو يجامل أحداً فقام غير متردد بانتزاع كافة الاملاك التي اقتطعها عثمان لاتباعه ومُريديه واعاد تقسيم الخراج ومن خلال هذه الحركة الاصلاحية وهي تجريد عمال عثمان من مناصبهم وسحب الامتيازات وانتزاع الاملاك مع اعلان مبدأ المحاسبة.

وعلى ضوء هذه الاجراءات كانت ردود الفعل التالية:

١ ـ قام عمال عثمان بالتنازل عن مناصبهم دون مقاومة.

٢ ـ ظهور ظاهرة التحدي لدولة الخلافة من خلال ولاية الشام (معاوية).

٣ ـ ظهور خليفة المسلمين الامام (عليه السلام) بشخصية قوية مسؤولة ويظهر ذلك من خلال التعميم الاداري الاتي:

* انصفوا الناس من انفسكم.
* لا تمنعوا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبه.
* لا تضربن أحداً سوطاً بمكان درهم.
* لا تمس مال أحد من الناس قصداً ومعامداً.
* لا تذخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة.

ومن خلال هذا التعميم تتضح لنا الطريقة الفعالة للرقابة الادارية عند الامام (عليه السلام) والخصها بالنقاط التالية:

١ ـ تمثل الامام العدل بنفسه كونه حاكماً مسلماً واعتبر ان كل شيء امانة حتى يلقى الله جلّ وعلا.

٢ ـ كان حازماً ولا تؤخذه بالله لومة لائم ولا يجامل أحداً بالحق.

٣ ـ الحرص والعدالة في تقدير الخراج وتقسيمه وطرق جبايته.

٤ ـ النظر في الشكاوى و العمل على انصافهم.

٥ ـ تتبع ومراقبة سلوك الولاة والعمال.

٦ ـ تلبية حاجات الناس.

٧ ـ عدم الارهاب والتعذيب.

٨ ـ حسن اختيار الجند.

وعليه بات أبا الحسن (عليه السلام) يأكل ويشرب من ماله الخاص وتعفف عن مال بيت المال فقد كان القدوة وان تألق عصره في مجال الاصلاحات حري بالباحثين ان يقفوا عنده وقفة اجلال وتكريم وخدمة لتلك الحقبة المزينة بآل البيت الكرام.

## الخاتمة

خرجت أبا الحسن (عليه السلام) من الدنيا شهيداً وبذمة طاهرة وأصبحت أسطورة في تاريخ العدل والنزاهة والعفة والشرف ورسمت للتاريخ الإسلامي عزة وفخراً إذ انك جعلت لمال الله وللأمة وللمسؤولية وللإدارة معنى باستمرار الحياة الكريمة.

وقد أسست الرقابة الإدارية والمالية نبعاً صافياً من ضمير وأخلاق ووجدان الإنسان فهو الرقيب على نفسه قبل أن يكون عليه رقيب من الدولة. وهذه أسمى وسائل الأمن في المجتمع المسلم.

حيث حدد الإمام (عليه السلام)، إن وظائف المال عند المسلم لا تخرج عن ثلاث: ـ

١ ـ الكسب من مصادر الحلال والإنفاق على الأهل والأنفس من غير معصية الله.

٢ ـ الإنفاق على ما تتطلبه العبادات والالتزامات الدينية الأخرى مثل الزكاة والصدقات وتكاليف الحج وغيرها.

٣ ـ المساهمة في بناء المجتمع.

فالثورة والانقلاب والتجديد قد طبقتها أيها الإمام في أصعب الظروف وأحلكها.

وفي الختام إن الكلمات هذه لا تفي الإمام حقه أبداً أبداً وسأقوم بإذن الله سبحانه بإجراء دراسة وافية وكبيرة عن الإمام ورؤيته في شتى المجالات.

## الهوامش :

١. سنن الترمذي ٢/٢٩٩ ـ الحاكم في المستدرك ٣/١٤.
٢. السيوطي الدُّر المنثور ٦ / ٢٢٠ ـ الهيثمي مجمع الزوائد ٩ / ٢٢ ـ أحمد في مسنده ٤ / ١٠٧ الحاكم في مستدركه ٢ / ٤٦ ـ البيهقي في السنن ٢ / ١٥٢ ـ الواقدي في الطبقات ٢ / ٣٣٧.
٣. انظر تاريخ بغداد ـ ١٣ / ١١٢ وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٦٢ انساب السمعاني ٦ / ٢٦٥.
٤. الواقدي ٣ / ٣٨ ـ ابن كثير البداية والنهاية ٧ / ٣٣٢ ـ تهذيب التهذيب ٤ / ١٢٦ الطبري ٥ / ١٥٧ ـ تاريخ بغداد ٩ / ٣٣.
٥. الخصائص للنسائي ـ ٢١ واحمد في مسنده ٥/٣٥٨ ـ الحاكم في مستدركه ٢/١٢٩ ـ البداية والنهاية.
٦. يوجد الكثير من المؤلفات التي بحثت في خصائص الامام مثل / كتاب المناقب / للخوارزمي / مناقب الامام علي لأبي المغازلي الشافعي وغيرهم الكثير.
٧. لسان العرب ماده عدل ـ المعجم الوسيط ٢ / ٥٨٨.
٨. نهج البلاغة خ ١١٨ ص ١٢٤.
٩. نهج البلاغة خ ٥٣ ص ٣٢٢.
١٠. سورة النازعات.
١١. سورة الجاثية.
١٢. سورة محمد.
١٣. نهج البلاغة ١٧٣ ص ١٧٩.
١٤. نهج البلاغة ٣٠ ص ٢٧٠.
١٥. نهج البلاغة ٢٨٠.
١٦. نهج البلاغة ص ١٣٤.
١٧. نهج البلاغة ص ١٣٤.
١٨. نهج البلاغة ص ١٣٤.
١٩. نهج البلاغة ص ١٣٤.
٢٠. نهج البلاغة ص ١٣٤.
٢١. نهج البلاغة ص ١٣٤.
٢٢. نهج البلاغة ص ١٣٤.
٢٣. المراجع السابقة.
٢٤. المراجع السابقة.
٢٥. نهج البلاغة ٩٥.
٢٦. نهج البلاغة ٩٥.